سورة الروم

مكية، إلا آية ١٧ فمدنية
وآياتها ٦٠ [نزلت بعد الانشقاق]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

القراءة المشهورة الكثيرة ﴿غُلِبَتِ﴾ بضم الغين. وسيغلبون بفتح الياء. والأرض: أرض العرب، لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم. والمعنى: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام. أو أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوّهم، قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الأردن وفلسطين. وقرئ: في أداني الأرض. والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي. وقيل: احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة فشق على النبي ﷺ والمسلمين (١١٣١)؛ لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب، وفرح

١١٣١ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٥٤).

قلت: غريب، وأقرب ما وجدته، وإن طرقه تغيير يسير، ما رواه سنيد بن داود في تفسيره: حدثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن عكرمة قال: كانت امرأة في فارس لا تلد إلا الأبطال، فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً واستعمل عليهم رجلاً من بنيك، فأشيري عليّ أيهم أستعمل؟ فأشارت عليه بولد لها يدعى: شهربراز، فاستعمله، قال أبو بكر بن عبد الله: فحدثت هذا الحديث عطاء الخراساني، فقال عطاء الخراساني: فحدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى: قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى بشهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى، فغلبتهم فارس، ففرحت بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، قال عكرمة: ولقي المشركون أصحاب النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا؛ لنظهرن عليكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا صلوات الله عليه، فقام أُبي بن خلف فقال: كذبت =

المشركون وشمتوا وقالوا: أنتم والنصارى أهل الكتاب، ونحن وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ نحن عليكم. فنزلت. فقال لهم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: لا يقرّر الله أعينكم، فوالله لتظهرنّ الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف. كذبت يا أبا فصيل، اجعل بيننا أجلاً أُناحبك عليه، والمناحبة: المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر وماذّه في الأجل. فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين. ومات أبيّ من جرح رسول الله، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين. وقيل: كان النصر يوم بدر للفريقين، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي، وجاء به إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: تصدّق به، وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوّة، وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. وقرئ: غلبهم، بسكون اللام. والغلب والغلب. مصدران كالجلب والجلب. والحلب والحلب. وقرئ: غلبت الروم، بالفتح. وسيغلبون، بالضم. ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين. وعند انقضاء هذه المدّة أخذ المسلمون في جهاد الروم، وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين، فهي في إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول. وفي الثانية إضافته إلى الفاعل. ومثالهما ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾، ﴿فَلَن يُخْلِفَ

= يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناحبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس؛ غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره، فقال: «ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وماده في الأجل» فخرج أبو بكر فلقي أبيًا؛ فقال: لعلك ندمت، قال: لا، تعال أزايدك في الخطر، وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص إلى تسع سنين»، قال: قد فعلت، وظهرت الروم على فارس قبل ذلك، فغلبهم المسلمون. وهذا مرسل.

وذكر الترمذي منه قطعة، وقال فيه: وكان ذلك قبل تحريم الرهان.

وروى الحاكم في مستدركه أيضاً منه قطعة يسيرة.

وكذلك الطبري وابن مردويه وابن أبي حاتم وهذا أقرب ما وجدناه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه سنيد بن أبي داود في تفسيره: حدثني حجاج هو ابن محمد الأعور عن أبي بكر بن عبد الله عن عكرمة قال: «كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الأبطال فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشيري عليّ: أيهم استعمل؟ فأشارت عليه بولد لها يدعى شهربراز. فاستعمله. قال أبو بكر بن عبد الله: فحدثت هذا الحديث عطاء الخراساني، فقال: حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم، فالتقيا بأذرعات وبصرى فغلبتهم فارس، فذكر القصة قلت: ولها طرق جمعتها في أول شرحي الكبير على البخاري. وقصة أبي بكر في المراهنة رواها الترمذي وغيره من حديث نيار بن مكرم الأسلمي، وسياقها مخالف لسياق هذه القصة. انتهى.

ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾. فإن قلت: كيف صحت المناحبة وإنما هي قمار؟ قلت: عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار. ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد: أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار. وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبيّ بن خلف ﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي في أوّل الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون، كأنه قيل: من قبل كونهم غالبين، وهو وقت كونهم مغلوبين. ومن بعد كونهم مغلوبين، وهو وقت كونهم غالبين، يعني أن كونهم مغلوبين أوّلاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وقرئ: من قبل ومن بعد، على الجرّ من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه، كأنه قيل: قبلاً وبعداً، بمعنى أوّلا وآخراً ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عزّ وجل من غلبتهم ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَۢ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له. وغيظ من شمت بهم من كفار مكة. وقيل: نصر الله: هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله. أنه ولى بعض الظالمين بعضاً وفرق بين كلمهم، حتى تفانوا وتناقصوا، وفل[1] هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوّة للإسلام. وعن أبي سعيد الخدري: وافق ذلك يوم بدر، وفي هذا اليوم نصر المؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾مصدر مؤكد، كقولك: لك عليّ ألف درهم عرفا؛ لأنّ معناه: أعترف لك بها اعترافاً، ووعد الله ذلك وعداً؛ لأن ما سبقه في معنى وعد. ذمّهم الله عزّ وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا، بله في أمر الدين، وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب/ ٢/ ٨٨ب. وعن الحسن: بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه، فيعلم أرديء هو أم جيد. وقوله: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسدّ مسدّه، ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا. وقوله: ﴿ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ

---

(١) قوله «وفل هؤلاء شوكة هؤلاء» أي كسرها. أفاده الصحاح. (ع)
ينظر: ديوانه ص ٨٥، ٨٩، والجنى الداني ص ٣٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٢، ولسان العرب، ومغني اللبيب ١/ ١٧، وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٤٦٣، ٣/ ٢٦٩، ورصف المباني ص ٤٦، وشرح المفصل ٨/ ١٢٣ والمقتضب ٣/ ٢٩٢.

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم[1] بملاذها. وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة: يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة. وفي تنكير الظاهر: أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر. و«هم» الثانية يجوز أن يكون مبتدأ. و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبره، والجملة خبر «هم» الأولى، وأن يكون تكريراً للأولى، وغافلون خبر الأولى. وأيه كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرّها ومعلمها، وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِى أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً، كأنه قيل: أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم، أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر، والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك، وأن يكون صلة للتفكر، كقولك: تفكر في الأمر وأجال فيه فكره. و﴿مَّا خَلَقَ﴾ متعلق بالقول المحذوف، معناه: أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول. وقيل: معناه: فيعلموا، لأنّ في الكلام دليلاً عليه ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير غرض صحيح وحكمة بالغة، ولا لتبقى خالدة: وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثاً. والباء في قوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ مثلها في قولك: دخلت عليه بثياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه، تريد: اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام، غير منفك عنهما. وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به، فإن قلت: إذا جعلت (في أنفسهم) صلة للتفكر، فما معناه؟ قلت: معناه: أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات، وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها، فتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون

---

(١) قال محمود: «يعلمون بدل من الأول، وفي البدل نكتة وهي الإشعار بأنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا، حتى كأنهما شيء واحد، فأبدل أحدهما من الآخر. وفائدة تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها» قال أحمد: وفي التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه. وروي عن الحسن أنه قال في تلاوته هذه الآية: بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء.

الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها، حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت، والمراد بلقاء ربهم: الأجل المسمى.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمّرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية، ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ وحرثوها قال الله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١] وقيل لبقر الحرث: المثيرة. وقالوا: سمى ثوراً لإثارته الأرض وبقرة؛ لأنها تبقرها أي تشقها ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ يعني أولئك المدمّرون ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمارة أهل مكة. وأهل مكة: أهل واد غير ذي زرع، ما لهم إثارة الأرض أصلاً، ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم، وبضعف حالهم في دنياهم؛ لأنّ معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة[1]، وهم أيضاً ضعاف القوى، فقوله: ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل. كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وإن كان هذا أبلغ، لأنه خالق القوى والقدر. فما كان تدميره إياهم ظلماً لهم؛ لأنّ حاله منافية للظلم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

قرئ عاقبة بالنصب والرفع. و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ وهو الأقبح، كما أنّ الحسنى تأنيث الأحسن. والمعنى: أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم سوأى؛ إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر، أي: العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة، وهي جهنم التي أعدّت للكافرين. و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ بمعنى لأن كذبوا. ويجوز أن يكون أن بمعنى: أي؛ لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول، نحو: نادى. وكتب، وما أشبه ذلك. ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا، و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ عطف بيان لها، وخبر كان محذوف كما

(١) قوله «أمر الدهقنة» أي الزراعة. (ع)

يحذف جواب لما ولو، إرادة الإبهام.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي إلى/ ٢/ ٨٩أ ثوابه وعقابه. وقرئ بالتاء والياء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

الإبلاس: أي يبقى بائساً ساكناً متحيراً. يقال: ناظرته فأبلس. إذا لم ينبس[1] وبئس من أن يحتجّ. ومنه الناقة المبلاس: التي لا ترغو. وقرئ: يبلس، بفتح اللام، من أبلسه إذا أسكته ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ من الذين عبدوهم من دون الله ﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي يكفرون بإلهيتهم ويجحدونها. أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم. وكتب ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾ في المصحف بواو قبل الألف، كما كتب ﴿علمواء بني إسرائيل﴾ وكذلك كتبت (السوأى) بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

الضمير في ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ للمسلمين والكافرين، لدلالة ما بعده عليه. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: هو تفرّق المسلمين والكافرين: هؤلاء في عليين، وهؤلاء في أسفل السافلين ـ وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: فرقة لا اجتماع بعدها ﴿فِى رَوْضَةٍ﴾ في بستان، وهي الجنة. والتنكير لإيهام أمرها وتفخيمه. والروضة عند العرب: كل أرض ذات نبات وماء. وفي أمثالهم: أحسن من بيضة في روضة، يريدون: بيضة النعامة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون. يقال: حبره إذا سرّه سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره. ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسارّ؛ فعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ: يكرمون. وعن قتادة: ينعمون. وعن ابن كيسان: يحلون. وعن أبي بكر بن عياش: التيجان على رءوسهم. وعن وكيع: السماع في الجنة. وعن النبيّ ﷺ: أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم[2]، وفي آخر القوم أعرابيّ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من سماع؟ قال: «نعم يا أعرابي، إنّ في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية، يتغنين بأصوات

(١) قوله «إذا لم ينبس» أي لم يتكلم. أفاده الصحاح. (ع)

لم تسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة» قال الراوي: فسألت أبا الدرداء، بم يتغنين؟ قال: بالتسبيح (١١٣٢). وروي: «إنّ في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار، فتحرّك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً» (١١٣٣). ﴿مُحْضَرُونَ﴾ لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم، كقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥].

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

لما ذكر الوعد والوعيد، أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد. والمراد

١١٣٢ ـ أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٧٨) من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي عن أبي الدرداء به مرفوعاً.
ولين ابن عدي سليمان بن عطاء ونقل عن البخاري قوله: في حديثه بعض المناكير. وقال ابن عدي: وهو كما قال.
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: وسليمان منكر الحديث.
والحديث أيضاً أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/ ٥٥).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: في طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة عن أبي الدرداء قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يذكر الناس، فذكر الجنة وما فيها... الحديث»، وسليمان منكر الحديث. انتهى.

١١٣٣ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٥٦): غريب ورواه الثعلبي من حديث عبد الله بن عرادة الشيباني عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم قال: إن في الجنة لأشجاراً... إلى آخره.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: عبد الله بن عرادة الشيباني أحد الضعفاء.
وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٥٦) أخبرنا عتاب بن بشير عن عبد الله بن مسلم بن هرمز الهرمزي عن مجاهد قال: قيل لأبي هريرة: هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها الفضة وثمرها الياقوت والزبرجد يبعث لها ريح فيحك بعضها بعضاً فما سمع شيء قط أحسن منه.
وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة بنحو الأول أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٣).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية عبد الله بن عرادة الشيباني أحد الضعفاء عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم بهذا. وروى إسحاق في مسنده من رواية مجاهد قيل لأبي هريرة: «هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من الفضة وثمرها الياقوت والزبرجد، يبعث لها ريح فيحرك بعضها بعضاً. فما سمع شيء قط أحسن منه». انتهى.

بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدّد فيها من نعمة الله الظاهرة. وقيل: الصلاة. وقيل لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية ﴿تُمْسُونَ﴾ صلاتا المغرب والعشاء ﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر. و﴿تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر. وقوله ﴿وَعَشِيًّا﴾: متصل بقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض بينهما. ومعناه: إنّ على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمدوه. فإن قلت: لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أنّ هذه الآية مدنية؟ قلت: لأنه كان يقول: فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم. والقول الأكثر أن الخمس فرضت بمكة. وعن عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة أقرّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر (١١٣٤). وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ . . . الآية» (١١٣٥). وعنه عليه السلام: «من قال حين يصبح ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته في يومه. ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته» (١١٣٦). وفي قراءة عكرمة: حينا تمسون وحينا تصبحون. والمعنى: تمسون فيه وتصبحون فيه. كقوله: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] بمعنى فيه ﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الطائر من البيضة، و﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾

١١٣٤ ـ تقدم تخريجه، قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عائشة واللفظ لأحمد وسياقه أتم. انتهى.

١١٣٥ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٥٧): رواه الثعلبي في «تفسيره» من حديث الحجاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم ثنا بشر بن الحسين ثنا الزبيري عن عدي عن أنس بن مالك به.
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» وفي إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من حديث أنس وفي إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط.

١١٣٦ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٩) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح حديث (٥٠٧٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٤) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٣٩) رقم (١٢٩٩١) من طريق سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً.
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٥٧): ورواه العقيلي وابن عدي في كتابيهما وأعلاه بسعيد بن بشير ونقلا عن البخاري أنه قال: لا يصح حديثه وقال العقيلي: وهو مجهول.
وقال ابن عدي: ولا أعلم لسعيد بن بشير النجراني غير هذا الحديث وإليه أشار البخاري بقوله لا يصح حديثه.
والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٢٨) وقال: إسناده ضعيف.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه أبو داود والعقيلي وابن عدي من حديث ابن عباس وإسناده ضعيف وقال البخاري لا يصح.

البيضة من الطائر. وإحياء الأرض: إخراج النبات منها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون. والمعنى: أنّ الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحيّ وإخراج الحيّ من الميت وإحياء الميت وإماتة الحيّ. وقرئ: الميت، بالتشديد[1]. وتخرجون، بفتح التاء.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لأنه خلق أصلهم منه. و﴿إِذَآ﴾ للمفاجأة. وتقديره: ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض، كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ لأن حوّاء خلقت من ضلع آدم عليه السلام. والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال. أو من شكل أنفسكم وجنسها، لا من جنس آخر، وذلك لما بين الاثنين من جنس/ ٢/ ٨٩ب واحد من الألف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ التوادّ والتراحم بعصمة الزواج، بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة، ولالقاء، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: المودة كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد، كما قال: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّآ﴾ [ص: ٤٣] وقال: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ [مريم: ٢]. ويقال: سكن إليه إذا مال إليه، كقولهم: انقطع إليه، واطمأن إليه ـ ومنه السكن. وهو الإلف المسكون إليه. فعل بمعنى مفعول. وقيل: إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان[2].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

الألسنة: اللغات. أو أجناس النطق وأشكاله. خالف عزّ وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد، ولا جهارة، ولا حدّة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكنة، ولا نظم، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها، والألوان وتنويعها، ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة، وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية، فيعروك الخطأ في التمييز بينهما، وتعرف

(١) قوله «وقرىء الميت بالتشديد» يفيد أن القراءة المشهورة بالتخفيف. (ع)

(٢) قوله «وإن الفرك من قبل الشيطان» في الصحاح «الفرك» بالكسر: البغض. (ع)

حكمة الله في المخالفة بين الحليّ وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد، وفرّعوا من أصل فذ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون. وقرئ: للعالمين بفتح اللام وكسرها، ويشهد للكسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

هذا من باب اللفّ وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين القرينين الأوّلين بالقرينين الآخرين؛ لأنهما زمانان. والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللفّ على الاتحاد. ويجوز أن يراد: منامكم في الزمانين، وابتغاءكم فيهما، والظاهر هو الأول لتكرّره في القرآن، وأسدّ المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

في ﴿يُرِيكُمُ﴾ وجهان: إضماران، وإنزال الفعل منزلة المصدر، وبهما فسر المثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، وقول القائل [من الوافر]:

وَقَالُوا: مَا تَشَاءُ؟ فَقُلْتُ: أَلْهُو ... إِلَى الإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أَثِيرِ[1]

---

(١) أرقت وصحبتي بمضيق عمق ... لبرق من تهامة مستطير
سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور
وقالوا: ما تشاء؟ فقلت: ألهو ... إلى الإصباح آثر ذي أثير

لعروة بن الورد العبسي، وأرقت: سهرت. والواو للمعية. والمضيق المكان الضيق. وعمق ـ بكسر فسكون ـ: شجر ببلاد الحجاز، وبضم ففتح: موضع منخفض عند مكة، ولعله سكن هنا للوزن، ولبرق: متعلق بأرقت، أي سهرت في هذا الموضع لأجل برق من تهامة جهة محبوبتي، ويحتمل أن الواو حالية، وصحبتي مبتدأ خبره بمضيق عمق، وإذا كان أصحابه فيه فهو فيه، فرجع إلى الأول ـ ومستطير: منتشر. وروي: سقوني النسيء. ونسأت اللبن: خلطته بماء، فالنسيء: هو اللبن المخلوط بماء. وتكنفوني: أحاطوا بي، وعداة: جمع عاد بمعنى عدو. وقيل: جمع عدو، أي: هم أعداء الله من أجل كذبهم وزورهم، وهي جملة اعتراضية، ويحتمل أن «عداة» بدل من ضمير الفاعل. أو فاعل على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أي: أحاطوا بي وقالوا: ما الذي تريده، فقلت: ألهو، أي: هو أن ألهو، فأن: مقدرة معنى، وإن لم ينصب الفعل لفظاً. وقال الجوهري: يقال افعل هذا آثر ذي أثير، أي: أول كل شيء، فأشار إلى أن آثر: نصب على الظرفية المجازية أو الحالية، أي افعله حال كونه أول كل شيء يؤثر، فهو أفعل تفضيل بمعنى المفعول، ونص ابن =

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث. وقيل: خوفاً للمسافر، وطمعاً للحاضر، وهما منصوبان على المفعول له. فإن قلت: من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل؛ والخوف والطمع ليسا كذلك. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن المفعولين فاعلون في المعنى، لأنهم راءون، فكأنه قيل: يجعلكم رائين البرق خوفاً وطمعا. والثاني: أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وإرادة طمع[1]، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. ويجوز أن يكونا حالين؛ أي: خائفين وطامعين. وقرئ: ينزل بالتشديد[2].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ قيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ أي بقوله: كونا قائمتين. والمراد بإقامته لهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال. وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بمنزلة قوله: يريكم، في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى، كأنه قال: ومن آياته قيام السموات والأرض، ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة: يا أهل القبور اخرجوا. والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث، كما يجيب الداعي المطاع مدعوّه، كما قال القائل [من الطويل]:

= الحاجب على جواز ذلك وروده قليلاً، وأثره بقصر الهمزة ومدها: إذا قدمه على غيره، وأثير: اسم مفعول بمعنى مأثور. أو حقيق بالتقدم، فالمعنى: أول كل شيء صاحب شيء مأثور، فيكون هو الأثير المقدم. أو التقدير: لهوى طول الليل هو المقدم عندي.

ينظر: ديوانه (ص ٥٧)، الدرر (١/ ٧٥)، لسان العرب (أثر)، بلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٥٣٦، الخصائص (٢/ ٢٣٣)، شرح المفصل ٢/ ٩٥، المحتسب (٢/ ٣٢)، وهمع الهوامع (١/ ٦).

(١) قال محمود: «فإن قلت: أينصب خوفاً وطمعاً مفعولاً لهما وليسا فعلي فاعل الفعل المعلل، فما وجه ذلك؟ قلت: المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤون، فتقديره: يجعلكم رائين البرق خوفاً وطمعاً. أو على حذف مضاف، تقديره: إرادة خوفكم وطمعكم» قال أحمد: الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته، وحينئذٍ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهي كونهما مصدرين ومقارنين في الوجود، والفاعل الخالق واحد، فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه، فنقول: معنى قول النحاة في المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل، أي: ولا بد أن يكون الفاعل متصفاً به، مثاله إذا قلت: جئتك إكراماً لك، فقد وصفت نفسك بالإكرام فقلت في المعنى: جئتك مكرما لك، والله تعالى ـ وإن خلق الخوف والطمع لعباده ـ إلا أنه مقدس عن الاتصاف بهما، فمن ثم احتيج إلى تأويل النصب على المذهبين جميعا. والله أعلم.

(٢) قوله «وقرىء ينزل بالتشديد» يفيد أن المشهور بالتخفيف. (ع)

دَعَـوْتُ كُـلَـيْـبـاً دَعْـوَةً فَـكَـأَنَّـمَـا دَعَـوْتُ بِـهِ ٱبْـنَ الـطَّـوْدِ أَوْ هُـوَ أَسْـرَعُ

يريد بابن الطود: الصدى. أو الحجر إذا تدهدى، وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم، بياناً لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله، وهو أن يقول: يا أهل القبور، قوموا؛ فلا تبقى نسمة من الأوّلين والآخرين إلا قامت تنظر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. قولك: دعوته من مكان كذا، كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك، تقول: دعوت زيداً من أعلى الجبل فنزل عليّ؛ ودعوته من أسفل الوادي فطلع إليّ. فإن قلت: بم تعلق ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أبالفعل أم بالمصدر؟ قلت: هيهات، إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. فإن قلت: ما الفرق بين إذا وإذا؟ قلت: الأولى للشرط، والثانية للمفاجأة، وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط. وقرئ: تخرجون، بضم التاء وفتحها ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَهُوَ / ٢/ ٩٠أ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم؛ لأنّ من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عيه وأهون من إنشائها، وتعتذرون للصانع إذا خطىء في بعض ما ينشئه بقولكم: أوّل الغزو أخرق، وتسمون الماهر في صناعته معاودا، تعنون أنه عاودها كرّة بعد أخرى؛ حتى مرن عليها وهانت عليه. فإن قلت: لم ذكر الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ والمراد به الإعادة؟ قلت: معناه: وأن يعيده أهون عليه. فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وقدّمت في قوله: ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩][٢]؟ قلت: هناك قصد الاختصاص وهو محزه، فقيل:

---

(١) يقول: دعوت كليباً. ويروى: خليدا. دعوة واحدة فأجابني بسرعة كأني دعوت به ابن الطود: وهو الجبل العظيم، وابنه الصدي: الذي يحاكي صوت الصائح عقب صياحه. أو الحجر إذا هوى منه متدهدها متدحرجاً إلى أسفل. وسمى ابنه. على سبيل الاستعارة التصريحية، لأنه ناشىء منه وملازم له. ثم إن فيه تجريدا حيث انتزع من كليب أمراً آخر يشبه ابن الطود في السرعة. والباء للملابسة، أي كأني دعوت ابن الطود ملابسا له. ويحتمل أنها للبدل، أي: دعوت بدله ابن الطود. أو بمعنى من. أي: دعوت منه ابن الطود. وقوله: أو هو، أي: كليب أسرع من ابن الطود في الإجابة.
ينظر لسان العرب (طود)، المخصص (١٣/ ٢٠٢)، أساس البلاغة (بنى)، (طود)، تهذيب اللغة (١٤/ ٤)، تاج العروس (طود).

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم أخرت الصلة ههنا وقد قدمت في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾؟ قلت: لأن المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هناك، فإنه اختصاص الله تعالى بالقدرة على إيلاد الهم =

هو عليّ هين، وإن كان مستصعباً عندكم أن يولد بين هِم[1] وعاقر؛ وأما ههنا فلا معنى للاختصاص، كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أنّ الإعادة أسهل من الابتداء؛ فلو قدمت الصلة لتغير المعنى. فإن قلت: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره[2]، ثم هوّنت بعد ذلك؟ قلت: الإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هوّنت بالقياس إلى الإنشاء. وقيل الضمير في عليه للخلق. ومعناه: أنّ البعث أهون على الخلق من الإنشاء، لأن تكوينه في حدّ الاستحكام، والتمام أهون عليه وأقل تعباً وكبداً، من أن يتنقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحدّ. وقيل: الأهون بمعنى الهين. ووجه آخر: وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله، والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بدّ له من فعله، لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب[3]، والأفعال: إما محال والمحال ممتنع أصلاً[4] خارج عن

= والعاقر، وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه، كيف والأمر مبني على ما يعتقدونه في الشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء، فالاختصاص يغير المعنى» قال أحمد: كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر، وإنما يلقى الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخر، وقد علمت مذهبه في مثل ذلك.

(١) قوله «أن يولد بين همّ وعاقر» في الصحاح «الهم» بالكسر. الشيخ الفاني. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض؟ قلت: الإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء» قال أحمد: إنما يلقى في السؤال تعظيم الإعادة من عطفها بثم، إيذاناً بتغاير مرتبتها وعلو شأنها. وقوله في الجواب: إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا يخلص، فإن الإعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره. وقيامهما ابتداء وإنشاء أعظم من الإعادة، فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن الإنشاء ويعود الإشكال، والمخلص ـ والله أعلم ـ جعل ثم على بابها لتراخي الزمان لا لتراخي المراتب، فعلى أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا، ومرتبة المعطوف هي الدنيا. وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب، فإن المعطوف حينئذٍ في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه، والله أعلم.

(٣) قوله «وجزاؤها واجب... إلخ» هذا عند المعتزلة، ولا يجب على الله شيء عند أهل السنة كما تقدم في محله. (ع)

(٤) عاد كلامه: قال في تقرير معنى قوله وهو أهون عليه: الأفعال إما ممتنع عقلاً لذاته، وإما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله. وإما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا. وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأول من قبيل التفضل، وأما الإعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء، فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع، فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الإنشاء» قال أحمد: لقد ضل وصد عن السبيل، فلا نوافقه ولا نرافقه، والحق: أن لا واجب على الله تعالى؛ وكل ما ذكره في هذا الفصل نزغات قدرية، على أنها أيضاً غير مستقيمة على أصولهم المجتثة، فإن مقتضاها وجوب الإنشاء في الحكمة؛ إذ لولا مصلحة اقتضت الإنشاء لما وقع، وتلك المصلحة توجب متعلقها، فقد وضح أن المصنف لا إلى معالي السنة رقي، ولا في =

المقدور، وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح، وهو رديف المحال؛ لأنّ الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحالة. وإما تفضل والتفضل حالة بين بين، للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله. وإما واجب لا بدّ من فعله، ولا سبيل إلى الإخلال به، فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول. فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب، كانت أبعد الأفعال من الامتناع. وإذا كانت أبعدها من الامتناع، كانت أدخلها في التأتي والتسهل، فكانت أهون منها[1]. وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به. ووصف في السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي القاهر لكل مقدور، الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه. وعن مجاهد: المثل الأعلى: قول لا إله إلا الله، ومعناه: وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية. ويعضده قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] وقال الزجاج: وله المثل الأعلى في السموات والأرض، أي: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل. يريد: التفسير الأوّل.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

فإن قلت: أي فرق بين الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾، ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾؟ قلت: الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد، والثانية للتبعيض، والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ومعناه: هل ترضون لأنفسكم ـ وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ـ أن يشارككم بعضهم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء، من غير تفصلة بين حرّ وعبد: تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم، وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم، فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي نبينها: لأن التمثيل مما يكشف

= حضيض الاعتزال بقي، فلله العصمة.

(١) قوله «فكانت أهون منها» أي من بقية الأفعال. (ع)

المعاني ويوضحها؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها. ألا ترى كيف صوّر الشرك بالصورة المشوّهة؟

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي أشركوا، كقوله تعالى: إنّ الشرك لظلم عظيم ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ أي اتبعوا أهواءهم جاهلين، لأنّ العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه. وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء ﴿مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ من خذله[1] ولم يلطف به، لعلمه أنه ممن لا لطف له، فمن يقدر على هداية مثله. وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان.

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ﴾ فقوّم وجهك له وعدّله، غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإنّ من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدّد إليه نظره، وقوّم له وجهه، مقبلاً به عليه. و﴿حَنِيفٗاۚ﴾ حال من المأمور. أو من الدين ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي الزموا فطرة الله /٢/ ٩٠ب. أو عليكم فطرة الله. وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ ومنيبين: حال من الضمير في: الزموا. وقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ﴾ . . . ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ معطوف على هذا المضمر. والفطرة: الخلقة. ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ والمعنى: أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكرين له، لكونه مجاوباً للعقل، مساوقاً للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن. ومنه قوله ﷺ: «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين[2] عن دينهم وأمروهم أن

---

(١) قوله «من أضل الله: من خذله» تأويل الإضلال بذلك مبني على أنه تعالى لا يخلق الشر، وهو مذهب المعتزلة، وذهب أهل السنة إلى أنه يخلق الشر كالخير، فالآية على ظاهرها. (ع)

(٢) قوله «فاجتالتهم الشياطين» أدارتهم. أفاده الصحاح. (ع)

يشركوا بي غيري» (١١٣٧)، وقوله عليه السلام: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصرانه» (١١٣٨)، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي ما ينبغي أن تبدّل

١١٣٧ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ ـ ٢١٩٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار حديث (٦٣/ ٢٨٦٥) وابن ماجه (٢/ ١٣٩٩) كتاب الزهد: باب البراءة من الكبر والتواضع حديث (٤١٧٩) مختصراً، وأحمد (٤/ ١٦٢ ـ ١٦٦) والنسائي في «فضائل القرآن» رقم (٩٥ ـ ٩٦) من حديث عياض بن حمار مرفوعاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار به وأتم منه. انتهى.

١١٣٨ ـ أخرجه البخاري (١١/ ٤٩٣) كتاب القدر: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، الحديث (٦٥٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٨): كتاب القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٢٥/ ٢٦٥٨)، وأبو داود (٥/ ٨٦): كتاب السنة: باب في ذراري المشركين، الحديث (٤٧١٤)، والترمذي (٣/ ٣٠٣): كتاب القدر: باب كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٣٢٢٣)، ومالك (١/ ٢٤١): كتاب الجنائز: باب جامع الجنائز، الحديث (٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٣)، والحميدي (٢/ ٤٧٣)، رقم (١١١٣)، وعبد الرزاق (٢٠٠٨٧)، وأبو يعلى (١١/ ١٩٧)، رقم (٦٣٠٦) وابن حبان (١٢٨ ـ ١٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٢٨)، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج الإبل جمعاء، هل تحس فيها من جدعاء، قالوا: يا رسول الله: أرأيت الذي يموت وهو صغير، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.

ولفظ مسلم مصدراً بلفظ: «كل إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم، كل إنسان تلده أمه، يلكز الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها.

وفي الباب عن جابر والأسود بن سريع وابن عباس وسمرة بن جندب.

ـ حديث جابر:

أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٣) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً وإما كفوراً».

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢١) وقال: رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات.

ـ حديث الأسود بن سريع:

أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥) وابن حبان (١٦٥٨ ـ موارد) وأبو يعلى (٢/ ٢٤٠) رقم (٩٤٢) والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٨٣) رقم (٨٢٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ١٦٣) من حديث الأسود بن سريع بمثل حديث جابر.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٩) وقال: رواه أحمد بأسانيد والطبراني في الكبير والأوسط... وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح.

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه البزار في «مسنده» (٢١٦٧ ـ كشف) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١) بلفظ: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه. =

تلك الفطرة أو تغير. فإن قلت: لم وحد الخطاب أولا، ثم جمع؟ قلت: خوطب رسول الله ـ ﷺ ـ أولاً، وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدل من المشركين ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ تركوا دين الإسلام. وقرئ: فرّقوا دينهم بالتشديد، أي: جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقاً، كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم فرح بمذهبه مسرور، يحسب باطله حقا ـ ويجوز أن يكون (من الذين) منقطعاً مما قبله، ومعناه: من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع فرحون على الوصل لكل؛ كقوله [من الطويل]:

وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرُ هَاضِمِ نَفْسِهِ .... (١)

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الضر: الشدّة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك. والرحمة: الخلاص من الشدّة. واللام في ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ مجاز مثلها في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾. ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ نظير ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم. وقرأ ابن مسعود: وليتمتعوا.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

السلطان: الحجة، وتكلمه. مجاز، كما تقول: كتابه ناطق بكذا، وهذا مما نطق به القرآن. ومعناه: الدلالة والشهادة، كأنه قال: فهو يشهد بشركهم وبصحته. وما في ﴿بِمَا

= وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه ممن لم أعرفه غير واحد.

ـ حديث سمرة بن جندب:

أخرجه البزار (٢١٦٦ ـ كشف) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١) وقال: رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف ونقل عن يحيى القطان أنه وثقه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة. انتهى.

---

(١) وكل خليل غير هاضم نفسه فبالصد والإعراض عنه جدير

للشماخ: ويروى: بدل الشطر الثاني: بوصل خليل صارم أو مصادر. وغير هاضم ـ بالرفع ـ: صفة كل. أو بالجر: صفة خليل، أي: من لم يخفض نفسه لصاحبه فهو حقيق بالصد والإعراض عنه لا بالمودة. وزادت الفاء، لأن المبتدأ فيه معنى الشرط. والصارم: القاطع. والمصادر: المجانب، أي: من لم يهضم نفسه لوصل خليله، أدى به ذلك إلى القطيعة، فإن لم تكن فإلى المجانبة، فكأنه مقاطع، أو مجانب بالفعل.

كَانُوا﴾ مصدرية أي: بكونهم بالله يشركون. ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها. ومعناه: فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون. ويحتمل أن يكون المعنى: أم أنزلنا عليهم ذ سلطان، أي: ملكاً معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض ـ والسبب فيها شؤم معاصيهم ـ قنطوا من الرحمة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض، فما لهم يقنطون من رحمته، وما لهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدّة من أجلها، حتى يعيد إليهم رحمته.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

حق ذي القربى: صلة الرحم. وحق المسكين وابن السبيل: نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب. وعند الشافعي رحمه الله: لا نفقة بالقرابة إلا على الولد والوالدين: قاس سائر القرابات على ابن العم، لأنه لا ولاد بينهم. إن قلت: كيف تعلق قوله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بما قبله حتى جيء بالفاء؟ قلت: لما ذكر أنّ السيئة أصابتهم بما قدّمت أيديهم، أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه، أي: يقصدون بمعروفهم إياه خالصاً وحقه، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ٢٠] أو يقصدون جهة التقرّب إلى الله لا جهة أخرى، والمعنيان متقاربان، ولكن الطريقة مختلفة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

هذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] سواء بسواء، يريد: وما أعطيتم أكلة الربا ﴿مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ﴾ أموالهم: ليزيد ويزكو في أموالهم،

فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ أي صدقة تبتغون به وجهه خالصا، لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ذوو الإضعاف من الحسنات. ونظير المضعف: المقوي والموسر، لذي القوّة واليسار: وقرئ بفتح العين. وقيل: نزلت في ثقيف، وكانوا يربون. وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له، ليعوّضه أكثر مما وهب أو أهدى، فليست تلك الزيادة بحرام، ولكن المعوّض لا يثاب على تلك الزيادة. وقالوا: الربا ربوان؛ فالحرام: كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه: أو يجرّ منفعة. والذي ليس بحرام: أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها/ ٢/ ٩١أ. وفي الحديث «المستغزر يثاب من هبته» (١١٣٩). وقرئ: وما أتيتم من ربا، بمعنى: وما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا. وقرئ: لتربوا، أي: لتزيدوا في أموالهم كقوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أي يزيدها. وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم: هم المضعفون. فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون. والمعنى: المضعفون به، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما، ووجه آخر: وهو أن يكون تقديره: فمؤتوه أولئك هم المضعفون. والحذف لما في الكلام من الدليل عليه، وهذا أسهل مأخذا، والأوّل أملأ بالفائدة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبره ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أي الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره، ثم قال: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الذين اتخذتموهم أنداداً له من الأصنام وغيرها ﴿مَّن يَفْعَلُ﴾ شيئاً قط من تلك الأفعال؛ حتى يصح ما ذهبتم إليه، ثم استبعد حاله من حال شركائهم. ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفة للمبتدأ، والخبر: هل من شركائكم، وقوله: ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ، لأن معناه: من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة: كل واحدة منهنّ مستقلة بتأكيد، لتعجيز شركائهم، وتجهيل عبدتهم.

١١٣٩ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/٥٨): لم أجده إلا من قول شريح، رواه ابن أبي شيبة في البيوع ثنا ابن أبي زائدة عن هشام عن ابن سيرين عن شريح قال: المستغرز يثاب من هبته أو ترد عليه.

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في الهبة: أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين به .اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من وجهين عن ابن سيرين عن شريح بهذا موقوفاً.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ نحو: الجدب، والقحط، وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الصيادين[1] والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضارّ. وعن ابن عباس: أجدبت الأرض وانقطعت مادّة البحر. وقالوا: إذا انقطع القطر عميت دواب البحر. وعن الحسن أنّ المراد بالبحر: مدن البحر وقراه التي على شاطئه. وعن عكرمة: العرب تسمي الأمصار البحار. وقرئ في البر والبحور ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] بسبب معاصيهم وذنوبهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وعن ابن عباس ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ بقتل ابن آدم أخاه. وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصباً: وعن قتادة: كان ذلك قبل البعث، فلما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ رجع راجعون عن الضلال والظلم. ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؟ قلت: أمّا على التفسير الأول فظاهر، وهو أنّ الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها، ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة، لعلهم يرجعون عما هم عليه. وأمّا على الثاني فاللام مجاز، على معنى أنّ ظهور الشرور بسببهم ما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع، فكأنهم إنما أفسدوا وتسببوا لفشوّ المعاصي في الأرض لأجل ذلك. وقرئ: لنذيقهم، بالنون.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله: حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم، ودل بقوله: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ على أنّ الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم، وأنّ ما دونه من المعاصي يكون سبباً لذلك.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

القيم: البليغ الاستقامة، الذي لا يتأتى فيه عوج ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ إمّا أن يتعلق بيأتي، فيكون المعنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردّه أحد، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾

(١) قوله «وإخفاق الصيادين» في الصحاح: أخفق الصائد، إذا رجع ولم يصطد. (ع)

[الأنبياء: ٤٠] أو بمردّ، على معنى: لا يردّه هو بعد أن يجيء به، ولا ردّ له من جهته. والمردّ: مصدر بمعنى الردّ ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدّعون: أي: يتفرّقون، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٤].

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضارّ، لأنّ من كان ضاره كفره؛ فقد أحاطت به كلّ مضرّه ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي يسوّون لأنفسهم ما يسوّيه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه، لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده: من نتوء أو قضض[1] أو بعض ما يؤذي الراقد. ويجوز أن يريد: فعلى أنفسهم يشفقون، من قولهم في المشفق: أمّ فرشت فأنامت. وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أنّ ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعدّاه. ومنفعة الإيمان والعمل الصالح: ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بيمهدون تعليل له ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب؛ وهذا يشبه الكناية، لأن الفضل تبع للثواب، فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له: أو أراد من عطائه وهو ثوابه؛ لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب. وتكرير ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وترك الضمير إلى الصريح/ ٢/ ٩١ب لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقرير بعده تقرير، على الطرد والعكس.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ هي الجنوب والشمال والصبا، وهي رياح الرحمة. وأما الدبور. فريح العذاب، ومنه قوله ﷺ: «اللهمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» (١١٤٠). وقد عدد

١١٤٠ ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٥٣٣)، وأخرجه أبو يعلى (٤/ ٣٤١) رقم (٢٤٥٦) من طريق الحسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٨) وقال: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح.
وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٣٧١) وعزاه لمسدد وأبي يعلى. وللحديث طريق =

---

(١) قوله «من نتوء أو قضض» النتوء: الارتفاع، والقضض: صغار الحصى. أفاده الصحاح. (ع)

الأغراض في إرسالها، وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرحمة، وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه، والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض» (١١٤١). وإزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب، وغير ذلك ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر عند هبوبها. وإنما زاد ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ لأن الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية[1]، فلا بد من إرساء السفن والاحتيال لحبسها، وربما عصفت فأغرقتها ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يريد تجارة البحر؛ ولتشكروا نعمة الله فيها. فإن قلت: بم يتعلق وليذيقكم؟ قلت: فيه وجهان: أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى، كأنه قيل: ليبشركم وليذيقكم. وأن يتعلق بمحذوف تقديره: وليذيقكم، وليكون كذا وكذا: أرسلناها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين، وقد أخلى الكلام أوّلاً عن ذكرهما. وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعظيم للمؤمنين

= آخر عن ابن عباس.

أخرجه الشافعي في «الأم» (١/ ٢٥٣) ومن طريقه البيهقي في «المعرفة» (٣/ ١٠٧). قال الشافعي: أخبرني من لا أتهم قال: ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الشافعي: أخبرني من لا أتهم عن العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه. ومن طريقه. أخرجه في المعرفة وفي الدعوات، وهذا المبهم: هو إبراهيم بن أبي يحيى وهو ضعيف. وله طريق أخرى عند أبي يعلى والطبراني وابن عدي من رواية حسين بن قيس عن عكرمة به وحسين ضعيف أيضاً.

وهذا المبهم هو إبراهيم بن أبي يحيى وهو ضعيف.

١١٤١ ـ قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦٠): غريب.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده اهـ.

وقد ذكر هذا الحديث ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٢٨٠) وقال: يرويه إسماعيل بن أبي أويس عن كثير بن عبد الله المزني عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أبي سعيد.

وذكره الخطابي أيضاً في «غريب الحديث» (١/ ٦٧٩) من قول بعض الأعراب فقال: وقال الأصمعي عن بعض الأعراب: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده. انتهى.

---

(١) قوله «ولا تكون مؤاتية» في الصحاح: آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته. والعامة تقول: واتيته. (ع)

ورفع من شأنهم، وتأهيل لكرامة سنية، وإظهار لفضل سابقة ومزية، حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم، مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم، وقد يوقف على (حقا). ومعناه: وكان الانتقام منهم حقاً، ثم يبتدأ ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعن النبيّ ﷺ «ما من امرىء مسلم يردّ عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة» (١١٤٢). ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ متصلاً تارة ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ أي قطعاً تارة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ في التارتين جميعاً. والمراد بالسماء. سمت السماء وشقها، كقوله تعالى: ﴿وَفَرَّعُهَا فِى

١١٤٢ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٣٢٧) كتاب البر والصلة باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم حديث (١٩٣١)، وأحمد (٦/ ٤٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١١١) رقم (٧٦٣٥)، والطبراني في «الكبير» كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦١) كلهم من طريق أبي بكر النهشلي عن مرزوق أبي بكر التيمي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً.

وقال الترمذي: حديث حسن.

قلت: وفي تحسينه ـ رحمه الله ـ لهذا الحديث نظر؛ فإن مرزوقاً التيمي مجهول.

وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٣٧): مقبول. يعني عند المتابعة وإلا فلين الحديث.

قال الزيلعي: قال ابن القطان في كتابه: ومانعه من الصحة مرزوق هذا؛ فإنه لم تثبت عدالته.

قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الترمذي، وأحمد، والطبراني من حديث أبي الدرداء. وقال: حسن. ورواه إسحاق، والطبراني، وأبو يعلى، وابن عدي من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً نحوه وإسناده ضعيف. واختلف فيه على شهر بن حوشب: فقال العداج عنه هكذا، وقال ليث بن أبي سليم عنه عن أبي هريرة، أخرجه ابن مردويه. انتهى.

وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١)، وابن المبارك في الزهد (٦٨٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» رقم (١٥٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٢ ـ ٤٤٣) كلهم من طريق عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من ذب عن لحم أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار». وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه وأبو يعلى كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦١). وشهر بن حوشب ضعيف.

وعبيد الله بن أبي زياد القداح. قال الحافظ: ليس بالقوي.

وقد خولف في هذا الحديث خالفه ليث بن أبي سليم، فرواه عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً.

أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٩).

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وبإصابة العباد: إصابة بلادهم وأراضيهم ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من باب التكرير والتوكيد، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٧]. ومعنى التوكيد فيه: الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد، فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم[1] فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قرئ: أثر وآثار، على الوحدة والجمع. وقرأ أبو حيوة وغيره: كيف تحيي، أي: الرحمة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني إنّ ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها، هو الذي يحيي الناس بعد موتهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَرَأَوْهُ﴾ فرأوا أثر رحمة الله. لأنّ رحمة الله هي الغيث، وأثرها: النبات. ومن قرأ بالجمع: رجع الضمير إلى معناه؛ لأن معنى آثار الرحمة النبات، واسم النبات يقع على القليل والكثير، لأنه مصدر سمي به ما ينبت. ولئن: هي اللام الموطئة للقسم، دخلت على حرف الشرط، و﴿لَّظَلُّوا۟﴾ جواب القسم سدّ مسدّ الجوابين، أعني: جواب القسم وجواب الشرط، ومعناه: ليظلنّ ذمّهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر: استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل ريحاً فضرب زروعهم بالصفار، ضجوا وكفروا بنعمة الله. فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله. فقنطوا. وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها. فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار. وأن يصبروا على بلائه، فكفروا. والريح التي اصفرّ لها النبات: يجوز أن تكون حروراً وحرجفاً. فكلتاهما مما يصوح[2] له النبات ويصبح هشيماً. وقال: مصفراً: لأنّ تلك

---

(١) قوله «إبلاسهم» الإبلاس: اليأس من الخير. والسكوت، والانكسار غماً وحزناً. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وحرجفا. . . إلخ» في الصحاح «الحرجف»: الريح الباردة. وفيه أيضاً «صوحته الريح»: أيبسته. (ع)

صفرة حادثة. وقيل: فرأوا السحاب مصفراً، لأنه إذا كان كذلك لم يمطر.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ/ ٢/ ٩٢أ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

قرئ: بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان، والضم أقوى في القراءة، لما روى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قال: قرأتها على رسول الله ـ ﷺ ـ من ضَعف، فأقرأني من ضُعف (١١٤٣). وقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] يعني أنّ أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافاً. وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة، وتلك حال القوّة إلى الاكتهال وبلوغ الأشدّ، ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم. وقيل: من ضعف من النطف، كقوله تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ وهذا الترديد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة: أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وبديهة. كما تقول: «في ساعة» لمن تستعجله، وجرت علماً لها كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة. وأرادوا: لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث. وفي الحديث: «ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون» (١١٤٤). قالوا: لا

١١٤٣ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣) كتاب الحروف والقراءات: حديث (٣٩٧٨)، والترمذي (٥/ ١٨٩) كتاب القراءات: باب ومن سورة الروم حديث (٢٩٣٦)، وإسحاق بن راهويه، والبزار كما في «تخريج الكشاف» كلهم من طريق عطية العوفي عن ابن عمر به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق.
وأخرجه أبو داود (٤/ ٣٢) كتاب الحروف والقراءات حديث (٣٩٧٩) من طريق عبد الله بن جابر عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال الزيلعي: ووهم ابن عساكر في أطرافه فعزاه للترمذي في ترجمة عطية عن الخدري وأهمله في ترجمة عطية عن ابن عمر.
وللحديث طريق آخر عن ابن عمر أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦٢) من طريق سلام بن سليمان المدائني عن أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، والترمذي، وإسحاق، والبزار من حديث عطية عن ابن عمر دون التفسير، ورواه ابن مردويه من رواية أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر، لكن في إسناده سلام بن سليمان. انتهى.

١١٤٤ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٨٧): غريب بهذا اللفظ. =

نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة؟ وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم، وإنما يقدّرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له. أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا، وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق. أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

القائلون: هم الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح. أو في علم الله وقضائه. أو فيما كتبه، أي: أوجبه بحكمته. ردّوا ما قالوه وحلفوا عليه، وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه. فإن قلت: ما هذه الفاء؟ وما حقيقتها؟ قلت: هي التي في قوله [من الهزج]:

. . . . . فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا[1]

وحقيقتها: أنها جواب شرط يدل عليه الكلام. كأنه قال: إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان، وآن لنا أن نخلص، وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث، أي فقد تبين بطلان قولكم، وقرأ الحسن يوم البعث، بالتحريك ﴿لَّا يَنفَعُ﴾ قرئ بالياء والتاء ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك: استعتبني فلان فأعتبته. أي: استرضاني فأرضيته. وذلك إذا كنت جانياً عليه. وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه؛ ألا ترى إلى

= وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا .اهـ.
والثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ما بين النفختين أربعون قالوا: أربعون يوماً قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؛ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت.
أخرجه البخاري (٨/ ٥٥٨) كتاب التفسير باب تفسير «عم يتساءلون» حديث (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١) كتاب الفتن: باب ما بين النفختين حديث (١٤١/ ٢٩٥٥).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا. وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً «ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ أبيت، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: أبيت». انتهى.

---

(١) تقدم.

قوله [من الكامل]:

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النِّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ[1]

كيف جعلهم غضابا، ثم قال: فأعتبوا، أي: أزيل غضبهم. والغضب في معنى العتب. والمعنى: لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية: ٣٥]، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾. فإن قلت: كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات، وغير معتبين في بعضها، وهو قوله: (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)؟ قلت: أما كونهم غير مستعتبين: فهذا معناه. وأما كونهم غير معتبين، فمعناه: أنهم غير راضين مما هم فيه، فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم، فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه، فإن يستعتبوا الله: أي يسألوه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن، كصفة المبعوثين يوم القيامة، وقصتهم، وما يقولون وما يقال لهم، وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم ـ لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة ـ إذا جئتهم بآية من آيات القرآن، قالوا: جئتنا بزور وباطل، ثم قال: مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة. ومعنى طبع الله: منع الألطاف[2] التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق، وإنما يمنعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه، كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أنّ الموعظة تلغو ولا تنجع فيه، فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين إياها، فكأنه قال: كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة، حتى يسموا المحقين مبطلين، وهم أعرق خلق الله[3] في تلك الصفة ﴿فَاصْبِرْ﴾ على عداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حَقٌّ﴾ لا بدّ من إنجازه والوفاء به، ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون

---

(١) تقدم.

(٢) قوله «ومعنى طبع الله منع الألطاف» أوله بذلك بناء على أنه تعالى لا يخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلقه كالخير، فالآية على ظاهرها. (ع)

(٣) قوله «وهم أعرق خلق الله» في الصحاح: أعرق الرجل. أي: صار عريقاً، وهو الذي له عرق في الكرم. (ع)

ضالون لا يستبدع منهم ذلك. وقرئ بتخفيف النون. وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: ولا يستحقنك، أي: لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك/ ٢/ ٩٢ب من المؤمنين.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته» (١١٤٥).

١١٤٥ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

obeikandl.com